كتاب

رسالة التوحيد

تأليف

الإمام الشيخ محمد عبده

رسالة التوحيد

ألف هذه الرسالة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

طبع هذه الرسالة مصححا إياها على نسخة المؤلف ومعلقا على تعليقات استفاد بعضها منه فى الدرس، السيد محمد رشيد رضا منشىء «المنار»

طرقت الرسالة، وافرا من الموضوعات من أهمها:

- تعريف علم التوحيد وموضوعه وتسميته.
- سنن الله فى الخلق وتآخى الدين والعقل فى الإسلام.
- مبدأ ظهور البدع فى العقائد والخلافة ودور عبد الله بن سبأ فى هذا.
- تقرير الإسلام لاستقلال الإرادة واستقلال الفكر.
- تحرير البشر من العبودية لغير الله.
- سبب الفتح الإسلامى وسيرة المسلمين فيه.
- العدل والرحمة وحرية الأديان فى الإسلام.

أبرز ما فى هذه الرسالة سعة الأفق فى فهم الدين السمح... حتى المقدمة التى كتبها الشيخ محمد رشيد رضا تستهل بوصفه الإسلام أنه دين الفطرة للناس من جميع الشعوب والأجناس الموافق لهم فى كل مكان، المنطبق على مصالحهم فى كل زمان فهو للقبائل الساذجة كالمربى الرحيم، والشعب الراقية كالإمام الحكيم، كلما ساروا فى العلوم والمدنية شوطا رأوه المجلى فى ميدان السبق (٤١-٥٣ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).

أقام هذا الدين سلف المسلمين، المتبعون، وخذله خلفهم المبتدعون، حتى صاروا حجة عليه عند أكثر العالمين، إذا زينت لهم التقاليد والعادات، أن يجعلوه حجابا دون العلوم والفنون والصناعات، وأن يتفرقوا فيه مذاهب وشيعا، وينقصوا منه سننا، ويزيدوا عليه بدعا، وأن يجعلوا كتب العقائد ملأى بالجدل والمراء، بين أهل المذاهب من الأموات والأحياء، وقد مرت القرون وليس عندنا مصنف يصلح للدعوة إلى الإسلام، على الوجه الذى اشترطه علماء الكلام، وهو أن يكون على وجه يحرك إلى النظر، ويدعو إلى البحث والتفكر، حتى قام الأستاذ الإمام، الذى كان فى هذا العصر حجة الإسلام الشيخ محمد عبده.

وعن الفتنة التى تسللت بين صفوف المسلمين بعد مقتل ثانى الراشدين الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه.

ووراء هذه الفتنه عبد الله بن سبأ يعرفه الإمام الشيخ محمد عبده بأنه يهودى أسلم وغلا فى حب علىّ كرم الله وجهه حتى زعم أن الله حل فيه!!

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا (أن ابن سبأ فعل ما فعل بغضاً فى الإسلام لا حبا فى على، فإسلامه كان خديعة وله نظراء فى ذلك من اليهود و ... كلهم كانوا يقصدون إفساد الإسلام وإزالة ملكه بالتفريق بين أهله.

وقد مضت خطة عبد الله بن سبأ على هذا النحو:

طعن على عثمان منفاه، فذهب إلى البصرة وبث فيها فتنته، فأخرج منها فذهب إلى الكوفة ونفث ما نفث من سم الفتنة فنفى منها فذهب إلى الشام فلم يجد فيها ما يريد ثم ذهب إلى مصر.

ومن الطريف أن ابن سبأ حين ظهر بمذهبه فى عهد على، نفاه إلى المدائن! وكان رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب الغلاة.

وقد ناقش الإمام محمد عبده فى رسالة التوحيد موضوعات الاختلاف التى احتدم حولها الجدل مثل:

- الجبر والاختيار.
- من ارتكب الكبيرة ولم يتب.

ثم وقف عند فتنة أخرى هى فتنة القول بخلق القرآن أو أزليته... وأهين فى ذلك رجال من أهل العلم والتقوى، وسفكت فيه دماء بغير حق وهكذا تعدى القوم حدود الدين باسم الدين...

أقول ولا ننسى مصريين ما كابده الإمام البويطى الذى جاء به أعوان المأمون من مصر إلى بغداد وألقى به فى سجن (المطبق) وتناوب على رجلنا العالم الإمام البويطى، فى سجنه، الوعد والوعيد فلم يذعن وقال كلمته الشامخة (والله لن أذعن للخليفة المأمون ولأموتن فى حديدى لتأتى بعدى أجيال تعلم أن فى مصر رجالاً صمدوا فى موقفهم وماتوا فى حديدهم).

ولم يمت فى عداد الرجال، الإمام البويطى ومات المأمون.

يقول الإمام محمد عبده (انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم. فجاء قوم ظنوا فى أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم فوضعوا ما لم يعد للإسلام قِبَلٌ باحتماله. غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا، ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا، فشردوا بالعقول عن مواطنها، وتحكموا فى التضليل والتفكير، وغلوا فى ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الأمم فى دعوى العداوة بين العلم والدين وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام، وهذا كفر وهذا إسلام. والدين من وراء ما يتوهمون، والله جل شأنه فوق ما يظنون وما يصفون.. ولكن ماذا أصاب العامة فى عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم بعد طول الخبط وكثرة الخلط؟ شر عظيم، وخطب عميم).

وفى سعة أفق ووضوح رؤية وسماحة إسلامية يقول الأستاذ الإمام (والذى علينا اعتقاده أن الدين الإسلامى دين توحيد فى العقائد، لا دين تفريق فى القواعد.. العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه.. وما وراء ذلك فنزعات شياطين، وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد على كل بعمله، قاض عليه فى صوابه وخطئه.

ويؤكد الإمام محمد عبده **ارتباط** الدين بالعلم لامجرد إيذان به.. يقولها واضحة فى مثل وضوح اليقين : (لايجوز أن يقام الدين حاجزا بين الأرواح وبين ما ميزها الله به من الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الإمكان. بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان، مطالبا لها باحترام البرهان، **فارضا** عليها أن تبذل ما تستطيع

من الجهد فى معرفة ما بين يديها من العوالم ولكن مع التزام القصد، والوقوف فى سلامة الاعتقاد عن الحد، ومن قال غير ذلك فقد جهل الدين، وجنى عليه جناية لايغفر له رب العالمين) .

وأخيراً وليس آخر لايسعنى أمام «رسالة التوحيد» للأستاذ الإمام إلا أن أقول مع السيد محمد رشيد رضا أن علم العقائد قد ارتقى فى مصر بنشرها وتدريس المؤلف فى الجامع الأزهر لها.. وأن علماء الهند ترجموها بلغة – الأوردية ليدرسوها فى مدرسة عليكرة الكلية.. وأن بعض المستشرقين ترجموها باللغة الفرنسية وطبعوها.. وأن بعض العلماء المسيحيين قرظوها وبعض أحرارهم تبرعوا بنسخ منها وزعوها، وأن بعضهم قالوا عندما قرءوها (لو كان ما فى هذه الرسالة هو الإسلام، لكنا أول ما يدخل فيه) . وقد طبعت رسالة التوحيد أربع عشرة طبعة.

رحم الله الأستاذ الإمام بقدر ما أدى وأوفى.

obeikandl.com